العرب
الخميس 2019/10/24
السنة 42 العدد 11507

أداء اليمين على العودة إلى الجذور

زرادشت نبي الأكراد سرقه الفرس

طقس يشترط وعدا روحيا

أكراد العراق يبحثون عن السلام في الديانة الزرادشتية

الكلمة الطيبة والفكر النيّر والفعل الحسن ثالوث يسهل الحياة في منطقة الفوضى

تتوالى موجات العنف على العراق وسوريا حيث نال الأكراد نصيبهم من الاضطهاد من قبل المتطرفين الدواعش، وزاد هجوم رجب طيب أردوغان على الشمال السوري من اضطهادهم، هذا الظلم الذي يعانيه الأكراد جعلهم يبحثون عن فلسفة أو ديانة تعيد إليهم صفاءهم الروحي وتداويهم من المخاطر النفسية التي خلفتها الحروب فكان أن عادوا إلى الديانة الزرادشتية.

دربندخان (العراق) – داخل معبد آثري متهالك جزئيا، تؤدي فايزة فؤاد اليمين أمام كهنة على غرار أكراد عراقيين كثيرين توجهوا إلى اعتناق الديانة الزرادشتية بعد الاضطهاد الذي تعرضوا له من قبل تنظيم الدولة الإسلامية، وبحثا عن جذورهم الأصلية.

وتعد الديانة الزرادشتية من أكثر الديانات القديمة انتشارا في إقليم كردستان فيما تتحدث المصادر التاريخية عن أصولها الكردية ونبيّها الذي وُلد في مدينة أورمية في كردستان إيران وأن كتابه المقدّس (الإفيستا) مكتوب باللغة الميدية التي تمثل الحجر الأساس للغة الكردية.

انتشرت الديانة بشكل عام بين الفرس في القرن السادس قبل الميلاد وأصبحت الديانة الرئيسية في المنطقة، وكانت ديانة مهمة حتى ظهور الإسلام في القرن السابع للميلاد، ولكنها بدأت بالتراجع بعد ذلك التاريخ وتمّ هدم الكثير من معابدها.

لكن أسراوان قادروك، أعلى شخصية دينية زرادشتية في إقليم كردستان العراق، يشدد على أنه "إذا وصلت الزرادشتية إلى كل الإنسانية، فزرادشت هو نبي الأكراد الذي سرقه الفرس".

وبالنسبة إلى أكراد عراقيين كثيرين، فإن التخلي عن الإسلام السني –ديانة غالبية سكان منطقة الحكم الذاتي– هو عودة إلى الجذور وطريقة لتأكيد الاختلاف عن العراق، في محافظة صوتت للانفصال خلال استفتاء مثير للجدل نهاية عام 2017، وباء بالفشل.

اعتنقت فايزة فؤاد (40 عاما) الزرادشتية مؤخرا في معبد دربندخان في شمال شرق العراق على الحدود مع إيران. بعد سنوات من القراءة، تقول، إنها أغريت بفلسفة "تجعل الحياة أسهل".

وتؤكد أن "الأمر يتعلق بالحكمة والفلسفة لخدمة الإنسانية والطبيعة"، وذلك لدى خروجها من احتفال حيث ربط لها الكهنة قطعة بيضاء بثلاث عقد حول خصرها، كعلامة على النقاء، مع قراءة مقاطع من الكتاب المقدس لدى أتباع الديانة الزرادشتية.

وتمثل العقد الثلاث تلك "الكلمة الطيبة والفكر النيّر والفعل الحسن"، وهي المبادئ الثلاثة الأساسية للزرادشتية التي تعظ باحترام عناصر الطبيعة وكل ما هو حي.

تقول فايزة فؤاد، وهي محاطة بأصدقاء وأقارب يناظرون القلادة التي ترتديها، "أنا سعيدة وأشعر بالانتعاش". والقلادة هي "فارافاهار"، رمز زرادشت على شكل طائر مجنح.

تحت حكم صدام حسين الذي أطيح به في عام 2003 بعد الغزو الأميركي للبلاد، كان ممنوعا ارتداء رموز دينية مماثلة خارج المنزل، بحسب ما تتذكر أوات طيب، ممثلة الزرادشتيين في وزارة الأوقاف الدينية لدى حكومة إقليم كردستان.

وتتذكر طيب، وهي المرأة الوحيدة التي تتولى منصبا مماثلا، كيف كان والدها "يمارس الزرادشتية في السر، وكيف لا يعرف أحد لا من الدولة ولا من الجيران، ولا حتى الأقارب".

لم يعترف إقليم كردستان الذي نال حكمه الذاتي في عام 1991، بالزرادشتية كديانة إلا في سنة 2015، حين سمح تصويت في البرلمان بإضافتها على لائحة الطوائف المعترف بها رسميا والمحمية من قبل السلطات المحلية، وأحيوا لأول مرة بعد 1400 سنة طقس ربط الأحزمة لتابعيهم في قرية زيوي بمحافظة السليمانية في اليوم الأول من شهر مايو من تلك السنة.

وطقس ربط الأحزمة يشترط على معتنقي الزرادشتية أن يقطعوا على أنفسهم وعدا روحيا بأنهم سيتبعون "الفكر والقول والفعل الحسن"، ثم صارت هذه الطقوس تنظم أسبوعيا في مناطق كردستان الأخرى.

> إقليم كردستان يعترف بالزرادشتية ديانة في عام 2015 حيث سمح البرلمان بإضافتها على لائحة الطوائف المعترف بها رسميا ومحمية من قبل السلطات المحلية

وتم نشر نشيد خاص بالزرادشتية، وأعيد افتتاح ثلاثة من معابد الزرادشتيين المعروفة بـ"آتشكاه"، إذ أعد المجلس الأعلى للزرادشتيين خرائط 12 معبدا تقع في مناطق جنوب كردستان، ويخططون لإعمارها حتى بلا دعم مادي رسمي.

وبدأ العشرات من الشبان عقد مراسم زواجهم في هذه المعابد، حسب تعاليم الديانة القديمة، والتي تشترط أن يكون الزواج بالموافقة دون إكراه، وأن يزرع كل واحد من الزوجين شجرة محبة للآخر، وفي الذكرى السنوية لزواجهما يوزعان الحلوى ويزرعان شجرتين جديدتين.

ولكن رغم ذلك، تشير طيب إلى تحديات أخرى لا تزال قائمة، إذ أن "الدولة لم تبن أي معبد، ولا نملك حتى الآن مقبرة زرادشتية، بعض المؤمنين بهذه الديانة دفنوا في منازلهم".

و يؤكد قادروك أن أعداد الزرادشتيين، الذين لا يوجد لهم إحصاء رسمي حتى الآن، سيستمر في التزايد، في منطقة شهدت اجتياحا من تنظيم الدولة الإسلامية في عام 2014، والذي ارتكب "إبادة" محتملة في حق الأقلية الأيزيدية.

ويشير قادروك إلى أنه "بعدما شهد الأكراد وحشية داعش بدأ الكثير منهم بإعادة التفكير في معتقدهم، الكثيرون يعتبرون أن قيم داعش معاكسة لقيم الأكراد، ولهذا تخلى البعض عن معتقده" الإسلامي.

ومع ذلك، يقول إنه حتى لو كان الأكراد مسلمين أو زرادشتيين، فهم يلتقون عند نقطة يعتبرونها الأهم، وهي حماية ووحدة شعبهم، هنا وعبر الحدود.

فيوم الجمعة على سبيل المثال، يوم صلاة الجماعة لدى المسلمين، شارك قادروك في الصلاة التي أمها الشيخ ملا سامان لتوجيه إدانة مشتركة للهجوم الذي بدأته أنقرة مؤخرا ضد أكراد سوريا.

ومع وصول وفد الكهنة الزرادشتيين، قال سامان "الزرادشتيون إخوتنا، وليسوا أعداءنا. أعداؤنا هم الذين يقتلوننا، كالرئيس التركي رجب طيب أردوغان"، ذلك أن الأكراد هم شعب بلا دولة، ويقولون إنهم يعيشون في تهديد دائم حيثما كانوا، في تركيا، في العراق، في سوريا، أو في إيران.

ويرى آزاد سيد محمد من منظمة "ياسنا" لتطوير الفلسفة الزرادشتية أن معتقده و"نبيّه الكردي" هما الحل، مؤكدا أن "الأكراد في حاجة إلى ديانتهم الخاصة على غرار الدول في الشرق الأوسط، لحماية أنفسهم من الاعتداءات والغزوات".

ويضيف "علينا إعادة إحياء ديانتنا الأصلية لإحياء هويتنا وبناء دولتنا"، ومع ذلك يبقى الغموض طاغيا على مضمون هذه الديانة التي لم توضح ملامحها عند الناس رغم أن القائمين عليها يعملون على نشرها بين الناس.

البحر المتوسط يستغيث من تخمة البلاستيك

تونس – باتت كومة ضخمة من القطع والقوارير والأكياس البلاستيكية المتراكمة داخل الحديقة الخلفية للمنزل، تمثل نوعا من الصيحة التي تطلق في البرية طلبا للمساعدة، فعلى بعد بضعة كيلومترات فقط من الشواطئ السياحية بجزيرة جربة التونسية، تعبر هذه المخلفات عن صرخة مدوية تتصاعد إلى السماء وكأنها نداء هائل يطلب الاستغاثة.

غير أنه لا يوجد سياح بمدينة جرجيس حيث يقيم محسن لهيذب متحفا خاصا به يجمع كل ما تلقيه مياه البحر المتوسط.

ويقول لهيذب "معظم الناس في البلدة يعتقدون أنني معتوه، غير أنني صافي الذهن تماما، ومتوافق مع نفسي في المقام الأول".

ويسير لهيذب الذي يبلغ من العمر 66 عاما على طول الشاطئ كل يوم تقريبا ليجمع كل ما يعثر عليه، وبدأ بتنظيف الشواطئ القريبة من بلدته والتي لم يمسها الازدهار السياحي الذي جاء إلى المنطقة منذ 26 عاما.

ويضيف لهيذب "ومع مرور الزمن شعرت زوجتي بالضيق إزاء كومة المخلفات المتراكمة في الحديقة الخلفية، غير أن هذه الكومة تمثل متحفا تذكاريا يخلد البحر".

وعلى مدار السنوات جمع لهيذب نحو نصف مليون قارورة بلاستيكية، وهو يعلم هذا الرقم بدقة لأنه يسجل في مذكرة جميع القطع التي جمعها.

غير أن هذا الرقم يبدو ضئيلا في حالة مقارنته بما جاء في دراسة أجرتها المنظمة العالمية للحياة البرية، من أنه يتم إلقاء قرابة 33800 قارورة بلاستيكية في البحر المتوسط كل دقيقة. ويعد البحر المتوسط أحد أكثر البحار تلوثا في العالم، ويشير تقرير أعدّته الأمم المتحدة إلى أنه من بين أسباب هذه الظاهرة، الكثافة السكانية بالمنطقة والأعداد الكبيرة من السياح، وازدحام حركة النقل البحري وضعف حركة دوران المياه بالبحر إلى درجة أن بعض الخبراء يصفونه بالبحر المغلق.

وتوضح دراسة المنظمة العالمية للحياة البرية أن كلا من مصر وإيطاليا وتركيا، تتحمل القدر الأكبر من المسؤولية عمّا ينتج من كميات هائلة من المخلفات، وعندما نُشر تقرير المنظمة في صيف 2019 قال رئيس برنامجها لقطاع البحر المتوسط جوسيبي دي كارلو، إن جميع الدول بحوض المتوسط لم تبذل الجهد الكافي لجمع وتدوير المخلفات البلاستيكية.

وتوضح "إسبرا" أن حوالي ثمانية ملايين طن من المخلفات البلاستيكية تلقى في بحار العالم كل عام، ويكون نصيب البحر المتوسط منها ما نسبته 7 بالمئة، وأغلبية هذه المخلفات تجد طريقها إلى البحار عبر الأنهار.

ويكون من تداعيات هذه العملية نفوق أعداد من الحيوانات، ويتم العثور على المزيد من الحيتان النافقة وقد لفظتها مياه البحر على السواحل الإيطالية، فعلى سبيل المثال تم العثور في الربيع الماضي داخل معدة أنثى حوت نافقة على أكثر من 20 كيلوغراما من البلاستيك.

وتشير دراسة لهيئة "إسبرا" أجرتها على أكثر من 1400 سلحفاة بحرية ضخمة الرأس إلى أن ما يقارب ثلثي هذا العدد ابتلع مخلفات بلاستيكية.

وفي مصر لم يستطع المغامر عمر الجلا أن يقف ساكنا ليتفرج على ما ستسفر عنه هذه الكارثة البيئية، فشرع خلال أكتوبر الحالي يسبح لمسافة 900 كيلومتر في مياه البحر الأحمر، ليلفت الأنظار إلى مشكلة المخلفات البلاستيكية.

وقال الجلا الذي يبلغ من العمر 31 عاما، "إنني أعتقد حقيقة أني أستطيع تحقيق تغيير ما".

ويعتزم الجلا اصطحاب أمتعة يتراوح وزنها بين 8 و10 كيلوغرامات في رحلة السباحة القادمة، من بينها جهاز مرتبط بالقمر الاصطناعي لتتبع رحلته، ومن المقرر أن يتابع رحلته على البر مشغل آلة تصوير ومساعد، وهما يبيتان معه ليلا في الصحراء المصرية.

وأضاف الجلا، "إنه لأمر يبدو ضربا من الجنون إلى حد ما، ولِنر كيف ستسير الأمور".

وتقول مؤسسة هنريش بويل إن هناك مشكلة في تونس تتمثل في أن السلطات المحلية تفتقر إلى الوسائل اللازمة لتنظيف الشواطئ، وتعتمد التجمعات السكانية في هذه المهمة على متطوعين مثل لهيذب.

ويشير لهيذب إلى أن مكونات نصبه التذكاري للبحر تغيرت خلال مدة 30 عاما.

ويقول "في التسعينات من القرن الماضي كانت القوارير السائدة مصنوعة من الزجاج والكثير منها كان يأتي من إيطاليا"، ثم بدأ بعد ذلك وصول القوارير البلاستيكية وشبك صيدها.

وتوجد خلف كومة المخلفات مجموعة من جماجم الدولفين التي لفظها البحر، كما توجد كومة من سترات النجاة برتقالية اللون، ويقول لهيذب "لا يمكن للبحر أن ينسى أبدا".

متحف البلاستيك شاهد على ما تفعله البشرية